رابعاً: أثر الحضارة الإسلامية في الحياة الاقتصادية:

١ ـ الزراعة:

حظيت الزراعة بكثيرمن العناية، فمن المعروف أن الزراعة تزدهر في ظل الحكومات القوية التي تعمل على توفير مياه الري واستصلاح الأراضي وتيسير نقل المحاصيل.

وقد عملت الدولة على إصلاح الأراضي وحفر القنوات والترع القديمة ونقل المحاصيل الزراعية وتبادلها بين ولايات الدولة.

واشتهرت الدولة الإسلامية بزراعة الحبوب والفواكه والقطن والأزهار والخضروات والنباتات والحشائش (كمصدر للأدوية والعقاقير). وأدخل العرب تحسينات جمة على طرق الحرث والغرس والري، وهذا ما جعل الأندلس في عهدهم جنة الدنيا[١]. وقد نقل الأوربيون الكثير من الزراعات وطرق الري إلى أوربا.

٢ ـ الصناعات:

مارس المسلمون كثيراً من الصناعات ومن أهم هذه الصناعات العمارة، فقد ترك المسلمون آثار كثيرة من العمائر الإسلامية من مساجد ومدارس وقلاع وحصون وقصور وأسواق وأسوار مدن وأربطة ومساكن وغيرها.

(١) د. عز الدين فراج، المرجع السابق ص ٥٦ ـ ٦٠.

كما شقوا الطرق وعبدوها وشقوا القنوات وشيدوا القناطر، وتتميز العمارة الإسلامية بميزات خاصة كالمآذن والقباب والعقود والأعمدة والمحاريب، ومن أهم العناصر المعمارية الإسلامية المقرنصات وهي أشكال زخرفية على شكل محاريب صغيرة وتتم زخرفتها بالخشب والمعدن.

واهتم المسلمون كذلك بصناعة النسيج التي ارتقت وتقدمت في العصر العباسي، ووجدت أنوال للنسيج تشرف عليها الدولة، وكان يطلق عليها اسم الطراز ومن أهم مركز صناعة النسيج في مصر: دمياط والأسكندرية والفيوم. وكان القطن والكتان ينسجان في مراكز الصناعة المصرية، كما كانت مراكز النسيج في العراق متقدمة كذلك في إيران وأسبانيا[١].

ومن الصناعات الأخرى صناعة الزجاج وصناعة الفخار والخزف، وازدهرت صناعة المعادن في العالم الإسلامي ازدهاراً كبيراً، واشتهرت صناعة السيوف والرماح والخناجر والدروع والتروس وغيرها. وكذلك صناعة الحلي بمختلف أشكالها. و عنى المسلمون بضرب النقود وسكها من الذهب والفضة والنحاس في العملة الرئيسية؛ الدينار من الذهب والدرهم من الفضة[٢].

واشتهر المسلمون بصناعة الخشب المطعم بالعاج وصناعة الزجاج والبلور الصخري كالمصابيح وصناعة الجلود وصناعة السجاد وصناعة الورق وصناعة الحرير وغيرها.

---

(١) د/ حسن الباشا، المرجع السابق، ص ١٦٢ - ١٦٧.

(٢) المرجع السابق.

٣ ـ التجارة والمواصلات :

انتعشت التجارة في الدولة الإسلامية، فقد حدث ازدياد مطرد في التجارة في الدولة العباسية سواء في التجارة الخارجية أو الداخلية.

وفي مجال التجارة الخارجية كان للعالم الإسلامي علاقات تجارية مع غرب أوربا وشمالها، ومع الشرق الأقصى، ومع القارة الأفريقية. وكانت العلاقات التجارية مع غرب أوربا تقوم على تصدير الرقيق إلى العالم الإسلامي، وكان الرقيق يجلب إلى الموانئ الفرنسية ثم يحمل منها إلى العالم الإسلامي.

وقد ظل التبادل التجاري مستمراً بين العالم الإسلامي والدولة البيزنطية ومع شمال أوربا، حيث كانت الدول الأسكندنافية تصدر الفراء للعالم الإسلامي، وكان العالم الإسلامي يستورد الحرير من الصين والفيلة والتوابل والأخشاب من الهند، كما كانت القارة الإفريقية تصدر الى العالم الإسلامي الذهب والأبنوس والعاج.

أما التجارة الداخلية فكانت تعتمد في انتقالها إما على الطرق البرية وإمّا على الطرق المائية من أنهار وقنوات وبحار. ويلاحظ أن العرب اهتموا بالطرق كوسيلة للمواصلات ونقل المتاجر وسير القوافل، فعنوا بتزويدها بالقصور أو منازل الاستراحة، وحفروا الآبار والعيون لإمداد المسافرين بالمياه اللازمة، ولاشك أن العناية بالطرق تعتبر في الإسلام من الواجبات الدينية لاستخدامها في الحج إلى بيت الله وزيارة المسجد النبوي الشريف.

٤ ـ الفنون الإسلامية :(١)

نشأت الفنون الإسلامية حول محورين هما : المسجد والمصحف، فاهتم المسلمون ببناء المساجد من الناحية المعمارية والزخرفية والعناية بأثاث المسجد والرغبة في تجميله. كما اهتم المسلمون أيضاً بالمصحف وتكونت حوله أنواع أخرى من الفنون الإسلامية، ومنها فنون الخط وتذهيب المصحف وتزويقه وتجليده.

وظل هذان الأساسان عاملي توحيد في الفنون الإسلامية التي استوحت روح الإسلام وتعاليمه، وتأثر الفن الإسلامي بالرغبة في تجميل الحياة. فقد بلغ الفن الإسلامي في الزخارف الهندسية مرتبة لايدانيه أي فن آخر.

ووجد في مصر الفن الفاطمي ثم الطراز الأيوبي ثم الطراز المملوكي، كما وجد في الأندلس فن أندلسي (الطراز الأموي الغربي). أما في مشرق العالم الإسلامي فقد حل الفن السلجوقي. وقام في إيران الطراز المغولي ثم الطراز الصفوي وقام في الهند طراز هندي إسلامي وفي آسيا الصغرى طراز آخر(٢).

ويرجع الفضل في نشأة بعض الفنون الأوربية إلى الفن الإسلامي، مثل الفن القوطي : وكان لمجيء الحجاج الأوربيين إلى فلسطين أثر كبير في تبادل العناصر الفنية بين العالم الإسلامي وأوربا.

---

(١) د/ حسن الباشا ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ ـ ١٣٥ .

(٢) د/ حسن الباشا، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٦ ـ ١٤٦ .

ومن أهم الفنون التي ازدهرت في العالم الإسلامي الخط العربي أو الكتابة العربية التي تطورت كثيراً بعد ظهور الإسلام. وأصبحت هناك أشكال كثيرة من الخطوط من أهمها الخط الكوفي وخط النسخ والخط الفارسي والخط الهمايوني والثلث والديواني والرقعة[١].

وهناك جانب آخر من الفنون الحسية كان للمسلمين فيه فضل على الغرب الأوربي ، ونعني به الموسيقى. وقد أثر العرب في الموسيقى الغربية وتطورت بفضل علماء المسلمين في هذا المجال. وقد ظهر أثر العرب في السلم الموسيقى الذي اعترف علماء الموسيقى في الغرب بفضل العرب في هذا المجال وخاصة المدرسة الموسيقية في بغداد. كما ازدهرت الموسيقى العربية بالأندلس، فوفد الطلاب الأوربيون إلى قرطبة حيث ترجموا كتابات العرب في علم الموسيقى إلى اللاتينية، كما عرف الأوربيون كثيراً من الآلات الموسيقية عن طريق مسلمي أسبانيا، وقد ترك العرب بصماتهم واضحة بوجود عدد من المصطلحات والأسماء الموسيقية التي نقلها الغرب إلى لغاته فلفظ Guitar مأخوذ من قيثارة وRibik مأخوذ من رباب و Naker من النقارة وKanoon مأخوذ من القانون وغيرها[٢].

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٤٦-١٥٩ .

(٢) أحمد أمين، ظهر الإسلام ، جـ٣ ، ص ٣٠١-٣٠٢